شرح الأصول الثلاثة

لفضيلة الشيخ

يَحيَى بنُ عَلِيٍّ الحَجُورِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فهذه تعليق مختصر على كتاب "الأصول الثلاثة" للإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ قرأه بعض إخواننا طلبة العلم حفظهم الله، فعلقت عليه بما يسره الله وأذنت بطبعه بعد النظر فيه، وإضافة بعض ما يتعلق به؛ رجاء أن ينفع الله به، وبالله التوفيق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: العِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).

الشرح

قوله: اعلم.

العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكًا جازمًا.

قوله: أنه يجب.

الوجوب لغةً: هو سقوط الشيء لازمًا محله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج:٣٦]، أي: سقطت لازمة محلها، كما في "مذكرة أصول الفقه" للشنقيطي (ص١٠).

قوله: أربع مسائل.

مسائل: جمع مسألة، والمسألة: هي قضية نظرية في الأغلب تتألف منها حجتها، وهي مبانيها التصديقية، وقد تكون ضرورية محتاجة إلى تنبيه.انتهى من "الكليات" للكفوي.

قوله: دين الإسلام بالأدلة.

هذا هو العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه من النقائص.انتهى المراد من "فتح الباري" لابن حجر أول [كتاب العلم] (١/ ١٤١).

قوله: المسألة الأولى العلم.

العلم: هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

المعرفة هنا تقتضي التوحيد: معرفة الله عزوجل بأسمائه، وصفاته، وألوهيته، وربوبيته، وبهذا أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، بأن يوحد الله عز وجل ولا يشرك به شيئًا، قال الله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قوله: المسألة الثانية العمل به.

إذا علم الإنسان يجب عليه أن يعمل بعلمه.

يؤخذ منه أن اقتضاء العلم العمل، وأن من لم يعمل بعلمه صار علمه حجة عليه، وفي حديث أسامة بن زيد ﵄ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنْ المُنْكَرِ؟! قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**» متفق عليه.

وفي حديث الحارث الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» أخرجه مسلم وغيره.

وفي حديث زيد بن أرقم، وعبدالله بن عمرو، وجماعة نحوه، أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**».

وعدم العمل بالعلم سنة يهودية، قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى.

اليهود هلكوا لعدم عملهم بالعلم، والنصارى هلكوا بجهلهم.

قوله﵀: المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

قال الله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت:٣٣]، فالدعوة إلى العلم من العمل به.

وقال الله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥].

فالدعوة إلى العلم وظيفة الأنبياء، العلم والدعوة إلى العلم، ومن لم يدعُ إلى العلم ولم يبين العلم الذي عنده يخشى عليه من عذاب الله، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

قال أبو بكر الصديق ﵁: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ؛ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ. أخرجه البخاري.

وفي حديث الحارث الأشعري عند الإمام أحمد وغيره، وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا مقبل ﵀، أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَام بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ، فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخْسَفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ**» الحديث.

قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧].

ومن الدعوة إليه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس أمر دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قوله: المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

الدعوة إلى الحق محفوفة بالمكاره، قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «**لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ**» أخرجه البخاري.

وقال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:١-٣].

ما يمكن أن يرضى الناس كلهم عن أحد، لا عن نبي مرسل، ولا عن ملك مقرب؛ فضلًا عمن دونهم من الدعاة إلى الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١].

الرافضة واليهود طعنوا في جبريل ؑ، وقال اليهود: هذا عدونا من

الملائكة. وقال الرافضة: خان الأمين، خان الأمين.

والمشركون وما رضوا عن رسول الله ﷺ، قالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وقالوا: أساطير الأولين اكتتبها... .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يَرْحَمُ اللهَ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» متفق عليه.

ورُجم رسول الله ﷺ بالحجارة، تبعه أبوجهل يرجمه وهو يقول: هذا ابن أخي فلا تصدقوه.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» متفق عليه.

فمن دعا إلى العلم النافع لابد أن يصبر، قال الله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿**يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧].

قوله: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَٱلۡعَصۡرِ * إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ**﴾.

وبعد الوصية بالحق لابد من صبر على الحق، ﴿**وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ**﴾، الصبر على إبلاغ الحق، والدعوة إلى الحق، وعلى نفع المسلمين، صاحبها معرض للأذى، فما أشبه الإنسان الصالح الداعي إلى الله بالنخلة التي يرجمونها وهي تنزل عليهم الرطب، قال النبي ﷺ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «**أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ**

مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ؟» فَجَعَلَ القَوْمُ يَذْكُرُونَ شَجَرًا مِنْ شَجَرِ البَوَادِي، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأُلْقِيَ فِي نَفْسِي أَوْ رُوعِيَ أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا فَإِذَا أَسْنَانُ القَوْمِ فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا سَكَتُوا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»، فالنخلة فيها شبه بالمؤمن من وجوه كثيرة، ومنها هذا الوجه.

قوله: قَالَ الشَّافِعِيُّ ﷺ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

هذا القول الذي ينقل عن الشافعي ليس بصحيح عنه، وهو قول منكر، وإنما المنقول عنه كما ذكره ابن كثير في "تفسيره" (١/ ٦٣) عن الشافعي بلفظ: (لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم).

وذكره ابن القيم في "التبيان" (ص٥٣) وفي "مفتاح دار السعادة" (١/ ٥٦)، وفي "الاستقامة" (٢/ ٢٥٩)، وفي "عدة الصابرين" (ص٦٠) عن الشافعي أيضًا بلفظ: (لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم).

قوله: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ.

هذا أحد شروط (لا إله إلا الله) المجموعة في قول الناظم:

علم يقين وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفر منك بما ... سوى الإله من مخلوق قد ألها

هما ركنان: النفي والإثبات، فإذا اختل شرط من تلك الشروط الثمانية التي ذكرها وأوضحها الحافظ حكمي ﷺ، كما إذا اختل أحد ركنيها النفي والإثبات اختلت، ولا تنفع صاحبها.

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والعَمَلُ بِهِنَّ:

الأولى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۞ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل: ١٥-١٦].

الثانية: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الثالثة: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الشرح

هذه المسائل من أهم ما يجب تعلمه، وهناك أمور أخرى يجب تعلمها.

قوله: الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا.

أي: خلق إيجاد، وتصوير، وإعداد، وإمداد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ

فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج:٥].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر:٢٦].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢].

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

قوله: وَرَزَقَنَا.

قال الراغب في "مفردات القرآن": الرزق يقال للعطاء الجاري تارة -دنيويًا كان أم أخرويًا- وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف، ويتغذى به تارة، يقال: أعطى السلطان رزق الجند، ورزقت علمًا.

قال الله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات:٢٢-٢٣].

وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ * نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٧٣].

كل هذا من رزق الله سبحانه وتعالى، فالله هو الخالق، وهو الرازق الرزق الحلال والحرام، كله من الله.

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ:

والرزق ما ينفع من حلال أو ضده فحل عن محال

هذا البيت فيه أن الرزق يتضمن ما ينتفع به الإنسان، سواء كان من حلال أو من حرام، من مأكل، وملبس، ومشرب، ومسكن، ومركب، وغير ذلك، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩].

جماعة من المفسرين عند هذه الآية يذكرون أنها نزلت في الرد على المشركين الذين كانوا يحرمون السائبة، والبحيرة، والوصيلة، يحلون أشياء ويحرمون أشياء، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦].

وأنت تعلم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

[العنكبوت:٦٠]، سواء كانت هذه الدابة من الدود، أو من القمل، أو غيرها من الحشرات، أو من الوحوش، أو من الجن والإنس، الدابة تطلق على ما يدب، رزقهم على الله، الذي يأكل الخنزير هذا الخنزير رزق، ويشرب الخمر هذا الخمر رزق، لكنه محرم.

فالرزق منه حلال ومنه حرام، فالرزق الحلال ينفع البدن والدين، والرزق الحرام قد يقوم به البدن، ولكنه يضر بالدين، وكما أن الله قدر الخير والشر، وأحب ورضي من عبده الخير، وكره منه الشر؛ فكذلك الله عزوجل جعل من الرزق ما هو نافع في البدن والدين، ومنه ما هو - وإن حصل فيه ما يظهر نفعه في البدن - مضر بالدين.

ولو قال قائل: كيف يكون رزقًا وهو حرام؟

يقال: الله هو الرزاق كما أخبر عن نفسه، وقد حرم أشياء فلا تنتهكوها، ونهى عن أمور يجب البعد عنها، لكن ليس معناه أنه رزقه غير الله، هذا القول ضلال، أن غير الله يرزق، إلَّا إذا كان من باب العطاء فقط؛ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء:٨]، أي: فاعطوهم.

فالإنسان يعطي مما أعطاه الله عز وجل، وفي الحديث «**إنما أنا قاسم والله هو المعطي**» متفق عليه عن معاوية رضي الله عنه.

الإنسان يعطي من رزق الله؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

ثم اعلم أن أعظم رزق: ما يكون زادًا لك في الآخرة، الرزق الدنيوي: من

مساكن، ومراكب، وملابس، ومآكل، ومشارب إلى آخر ذلك زائل؛ يقول الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

وفي "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله**».

يبقى الرزق الملازم للعبد؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٤٩-٥٤] هذا رزق الجنة، بسبب رزق الهداية، رزق العلم النافع والعمل الصالح.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

جمعت هذه الآية بين رزق الدنيا ورزق الآخرة، رزق الدنيا بالسعة، ورزق الآخرة بالأجر، ويعوضه الله عن هجرته من بلده، وعن ترك بلده، يعوضه الله بسبب إيمانه، قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٠-٤٤]، فسمى نعيم الجنة رزقًا.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج:٥٨-٥٩].

فاحرص على الرزق الحسن، الذي يكون زادًا لك يوم القيامة، في الدار

الآخرة، هذا الذي ما ينفذ، أما رزق الدنيا نافذ زائل إن لم يسخر ذلك في طاعة الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

والرزق بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ حيث قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد:٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

وللرزق أسباب، سواء كان رزق الهداية، أو رزق الجنة، أو رزق الدنيا المحض الذي هو من جنس البهائم، ولا تعلق له بالهداية.

- فأول تلك الأسباب: تقوى الله عزَّ وجلَّ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

- الثاني: العفة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٣]، ولحديث: «**ومن يتعفف يعفه الله، ومن يستغني يُغْنِه الله، ومن يتصبر يصبره الله**»، متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

- الثالث صلة الرحم من أسباب الرزق كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**». متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**»، والرزق يشمل الحلال، ويشمل الحرام من ربا، أو من بيع الخمر، أو الخنزير، أو سائر المحرمات.

والرزق الحرام لا يعجبك؛ لأنه فتنة، قال تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ**﴾ [التوبة:٥٥]، ولا يفرح بماله ذاك، قال سبحانه: ﴿**إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ**﴾ [القصص:٧٦]، وقال تعالى: ﴿**قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ**﴾ [المائدة:١٠٠].

المال الذي من حرام لا يفرح به، إنْ تصدق ما تقبل صدقته، وإنْ وصل رحمه ما يؤجر على صلته منه، وإنْ أكرم ضيفه لا يؤجر على إكرامه، وإنْ حجَّ لا يرجع كيوم ولدته أمه، وهو آثم على إنفاقه على أولاده؛ لأنه ما رعاهم رعاية حسنة، وما أحسن إليهم، وإن دعا الله ما يستجاب له كما جاء في الحديث: «**مطعمه حرام، وملبسه حرام، ومشربه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له**» كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم.

وقال ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلّا طيبًا**» فمثل هذا عدمه – والله - خير من وجوده، الفقر المدقع خير من المال الحرام، بل الموت للمقترف للحرام أريح له؛ لقول النبي ﷺ: «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله**».

قال السفاريني رحمه الله:

لأنـــــه رازق كــــــل خلـــــق ولـــــيس مخلـــوق بغــــير رزق

البيت الثاني يفسر البيت الأول، ومعناه: كل الخلق يرزقهم الله سبحانه وتعالى برّهم، وفاجرهم، فالذي يخص الرزق بالحلال فقط معناه أنه سيجعل أناسًا مرزوقين من غير الله، وهذا نظير قول القدرية الذين يقولون: (الله قدر الخير وما قدر الشر)، فأثبتوا خالقين اثنين: الله يخلق الخير، وآخر يخلق الشر، ومن قال: بأن الحرام ليس من رزق الله، يثبت رازقين: الله يرزق الحلال، وآخر يرزق الحرام.

فهذا نظير قول القدرية، فمعنى هذا أنَّ الله رزق الحلال وما رزق الحرام، وكلها أقوال المبطلين المعتزلة، كلها من أقوال المعتزلة، والله رازق كل الخلق.

بالله يا أخي، إذا كان الله عز وجل يرزق الكفار وهم عصاة فجرة كفرة، وقد رزق فرعون، وقد رزق قارون، ورزق أبا جهل، ورزق أبا لهب، ورزق أيضًا النمرود، ورزق مردة الجن، ومردة الشياطين أنت تخاف أنَّ الله ما يرزقك، ويهول عليك المهولون أنك ستُضَيّع المستقبل إذا طلبت العلم، هذا معتقد غير صحيح، وطالب العلم يسعى في طلب أعظم رزق، علم نافع، حفظ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إن عملت بذلك فأنت ثري من الطاعة إنْ شاء الله تعالى.

كثير من الناس فقراء من السنة، وأنت مع السنة، وهذا أعظم رزق، كثير من الناس فقراء من الإسلام وأنت في الإسلام، وهذا أعظم رزق، يقول النبي ﷺ «**قد افلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**».

ورزقك يأتي ميسرًا، يرزقك الله سبحانه وتعالى من فضله وأنت مُنْكَبٌّ على طلب العلم، فأقبل على طاعة الله يرزقك الله، ثبت من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أن رجلًا كان يحترف، وآخر يأتي النبي ﷺ يجلس عنده لطلب العلم، فشكا المحترف أخاه، فقال النبي ﷺ: «**لعلك ترزق به**».

وثبت من حديث زيد بن ثابت ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**» أخرجه الترمذي.

وثبت عند ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:«**يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**» تراه مشغولًا بالدنيا وما زال فقيرًا، ما زال يجهش بعد الدنيا لم يشبع، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون: ٩-١١].

وأما قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ**

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء:٨]، أي: أعطوهم عطاء، وليس رزقًا مطلقًا، لا يستطيع أحد أن يعطيك ما منعك الله، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولما معطي لما منعت.

قوله: وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ - ٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦].

فالله ما خلق العباد هملًا، أي: لم يتركهم سدى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، بغير تكليف، وإنما خلقهم وأمرهم ونهاهم، خلقهم لعبادته، قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

فالحكمة من خلقهم ظاهرة في ذلك: أن الله خلق العباد لطاعته ولعبادته، وأمرهم ونهاهم وابتلاهم، قال الله: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ

ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:٢١٤].

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:١-٢].

وقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠].

قوله: بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً.

الرسول الذي أرسله الله إلينا هو: أبو القاسم، محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (١/ ٧٠): وهو خير أهل الأرض نسبًا على الإطلاق؛ فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك؛ ولهذا شهد له به عدوه آنذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه.

ثم ذكر النسب إلى عدنان، وقال: إلى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه بين النَّسَّابِين، ولا خلاف فيه ألبتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، وهو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من

عشرين وجهًا... .اهـ

ثم ذكرها، وسيأتي إن شاء الله في الأصل الثالث [**معرفة نبيكم**] مزيد لهذا، قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا خيار من خيار**»، وقال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقال سبحانه: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩].

وقال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر: ٢٤].

قولهﷺ: فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

يقول الله سبحانه: ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: ٥٤].

وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [النور: ٥٢].

ومن عصى الرسول فقد عصى الله، وحادَّ الله، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**﴾ [يونس: ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ** ﴾ [المجادلة: ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ [الجن: ٢٣].

وقال الله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٦٣].

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢].

من أطاع الله أدخله الله الجنة برحمته، ومن عصى الله أدخله النار بعدله، وسواء كانت هذه المعصية كبيرة من الكبائر دون الشرك؛ فإنه يعرض نفسه لعذاب الله بتلك الكبيرة، إلا أن يعفو الله عنه، وإن كانت شركًا بالله سبحانه وتعالى؛ فإنَّ صاحب الشرك الأكبر جزاؤه جنهم خالدًا فيها إن مات على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، والشرك الأصغر صاحبه تحت مشيئة الله سبحانه على الصحيح.

قولهؒ: الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ.

يقال الله سبحانه: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥]، يوحدوه ويخلصوا العبادة.

وقال الله سبحانه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، والمساجد تشمل مواضع السجود، وأعضاء السجود.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

فلا يجوز لأحد أنْ يَدْعُوَ مع الله أحدًا، والدعاء عبادة لا يدعو ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، ومن فعل ذلك كان فعله ذلك كفرًا، قال الله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وقال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

وقال جل جلاله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فصرف شيء من ذلك من الشرك الأكبر، والله عز وجل لا يرضى أن يشرك معه أحد؛ فلهذا نهى عن ذلك أشد النهي، ورتب عليه أشد العقاب، قال سبحانه: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

قوله: الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ.

هذا هو الولاء والبراء، وهذا الكفر بالطاغوت، وهو من شروط (لا إله إلا الله)، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

والعروة الوثقى هي توحيد الله (لا إله إلا الله) هي العروة الوثقى، أما من لم يكفر بالطاغوت؛ فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى كما هو مفهوم ذلك، ومن الأدلة الأخرى.

ومما يدل على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].
- ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].
- وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة:٥١-٥٢].
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١]، وأدلة الولاء والبراء كثيرة.

وهذه الأدلة تشمل حرمة مودة الكافرين المشركين الوثنين الجاهلين، واليهود والنصارى، والمنافقين، وحتى المبتدعة ما يجوز لك موادتهم؛ لأنهم على ضلالة وعلى محادة لله عز وجل ببدعتهم وجرمهم، فتبغضهم على حسب ما عندهم من الباطل ومن الضلالة التي يضلون بها ويفتنون بها الناس.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٥].

الشرح

قوله: اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ.

قال الراغب في "مفردات القرآن": الرشَد والرشْد خلاف الغي، يستعمل استعمال الهداية، قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قوله: لِطَاعَتِهِ.

قال الراغب: الطاعة أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر، والارتسام فيما رسم.

وقال غيره: الطاعة موافقة المراد فعلًا للمأمور، وتركًا للمحظور. وهذا التعريف أصح وأوضح.

قوله: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ.

الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢١]، الحنيف هو المقبل على الله المعرض عما سواه، المخلص لله سبحانه، والحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام.

والإسلام دين الأنبياء جميعًا، قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وهذه الحنيفية هي: أن تعبد الله مخلصًا له الدين؛ فإنْ عبد الإنسان ربَّه بغير إخلاص فليس على ملة إبراهيم، وليس عمله بمقبول، فشرط قبول العمل: الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله.

قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر:١١-١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].

فأي عمل لا يتوفر فيه الإخلاص والمتابعة لا يُقبل، فيشترط في ذلك الإسلام، والإخلاص والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال جل جلاله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، ولا يكون حسنًا إلا إذا كان خالصًا وصوابًا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

وهذا الذي سار عليه جميع الأنبياء وجميع المسلمين، وهو الذي أمر الله به جميع العباد، قال الله عز وجل: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقال

سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

كل الجن والإنس وكل الموجودات من المكلفين خلقوا لهذه الحكمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

والحكمة من خلق العباد: عبادة الله سبحانه؛ يقول الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، وقال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١]، وقال جل جلاله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩].

خلقها الله وقدّر فيها أقواتها، وأمدهم بالأرزاق وبالصحة،وأعطاهم السمع والبصر وسائر الجوارح، كل ذلك ليوحدونه ويعبدونه، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

فهذا يدل على أن أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، فالتوحيد أعظم حسنة، والشرك أعظم سيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وعرّف التوحيد بأنه إفراد الله بالعبادة.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

الشرح

قوله: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ.

معرفة الإنسان لربه يعرف الله سبحانه بآياته ومخلوقاته، آيات الله المنزلة، وآياته الكونية، الليل والنهار والشمس والقمر وسائر المخلوقات، قال الله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

وقال الله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥].

وقال جل جلاله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

ففي هذه الآيات أنَّ تدبر آيات الله المتلوة، والتفكر في آياته المخلوقة من أسباب معرفته عز وجل.

قوله: وَنَبِيَّهُ.

الأصل الثاني: معرفة الإنسان نبيه، وأن رسول الله ﷺ مرسل من ربه إلى الناس كافَّة بشيرًا ونذيرًا، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وأن رسول الله مبلغ ورحمة مهداة، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال عزَّ وجل: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤]، وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠].

وتقدم محبته على محبة النفس والناس أجمعين؛ لحديث أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» متفق عليه.

فعن طريقه ﷺ يعرف المسلم دينه، يعرف يصلي ويصوم ويعرف يزكي ويحج ويعرف أمور دين الله إلا عن طريقه، قال الله سبحانه: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر:٩]، وقال عز وجل: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد:١٩].

والذي لا يتعلم دينه وهو قادر على ذلك مع وجود من يعلمه يعتبر معرضًا، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وحديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ. قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**» متفق عليه.

الأصل الأول: معرفة الرب.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ)[الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ.

الشرح

قوله: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

هذه طريقة من طرق التعليم، طريقة تلقين البادئ والجاهل بصيغة (إذا قيل لك كذا، فقل كذا).

ومنها طريقة الطرح، أن يطرح المسألة ليُجاب عليها؛ لحديث: «**شجرة تشبه المؤمن أخبروني ما هي؟**».

ومن كيفيات التعليم: القراءة، والقراءة تحتاج إلى مناقشة؛ فمن الناس من يستفيد من القراءة بحيث يكون واعيًا فاهمًا، ومن خلال القراءة يفهم، أما الذي هو بادئ أو صغير في السن يحتاج إلى تكرار وإلى سؤال له حتى تستقر عنده المعلومة، و ما تكرر تقرر.

قوله: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

والرب بالألف واللام لا يُطلق إلا على الله، أما (من رب هذا الجمل؟ من

رب هذا الدار؟) بغير الألف واللام تطلق على غير الله سبحانه وتعالى.

قوله: فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ.

قال الله سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ** ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

فهذه كلها من تربية الإنسان بنعمته سبحانه، وهكذا من نعم الله على أنه يجعل له ما يناسبه في بطن أمه، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أو فصيله**».

لولا نعمة الله على العبد ما أكل، وما شرب من عدة وجوه، إما أنه لا يهيئه لذلك بحيث أنه لا يجعل له مساغًا، أو بحيث أنه لا يطعم ولا يشرب؛ لأنه لا يجده، ولكن الله هو الذي ينعم على العباد، وما بكم من نعمة فمن الله، قال الله سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان:٢٠].

كل النعم من الله، سواء كانت النعم التي هي ظاهرة في الإنسان، أو التي هي باطنة، مثل الأمعاء، وإساغة المطعومات والمشروبات، وغير ذلك مما ركبه الله في باطن الإنسان، والظاهرة مثل السمع والبصر والكلام، كل هذا من الله، فمن أعطاه الله ذلك ينبغي أن يكافئ تلك النعم بالشكر لا بالإعجاب والكبر، والنعمة إذا شكر الله سبحانه وتعالى عليها قرَّت، وإذا لم يشكر الله عليها فرَّت،

فلو أنك وُفِّقْتَ لشكر تلك النعمة، ذلك الشكر من الذي منَّ عليك به؟ وما أحسن ما قاله صاحب هاذين البيتين:

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةٌ   عليَّ له في مثلها يجب الشكرُ

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله   وإن طالت الأيام واتصل العمرُ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

الشرح

قوله: وَالرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ

أي: المستحق للعبادة والذي يعبد بحق، وما سواه إن عُبِدَ فبباطل، قال تعالى: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦]، فالله هو الذي يستحق العبادة، وأمر الله بعبادته سبحانه، ما خلق الله الجن والإنس إلا لعبادته، فمنهم من امتثل ذلك

الأمر، قال الله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، ومنهم من لم يمتثل ذلك الأمر، ولم يعبد الله سبحانه وصار من الكافرين.

قوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ.

العبادة: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه، ومدارها على المحبة، والتذلل، والخشوع، والخضوع.

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذلك عابده هما قطبان

ومدارها في الأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، أي: تتقون عذابه إن عبدتموه، تجعلون بينكم وبين الله وقاية من عذابه؛ لأنكم عبدتموه والله سبحانه لا يضيع عمل العاملين، قال الله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ * وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، فإذا عبد الإنسان ربه وتقرب إليه تقرب الله إليه.

ثم امتنَّ الله على عباده ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ [البقرة:٢٢]، تطئون عليها، وتمشون في مناكبها، وتأكلون من رزقه، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [البقرة:٢٢]، رفعها بغير عمد ترونها، هي بغير عمد، وليس معناه أنها لها أعمدة لكن ما نراها، بل بغير عمد أصلًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر:٤١].

وقال سبحانه: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾

[الحج:٦٥]، هذا هو الصواب الذي رجحه ابن كثير وغيره.

وقوله: ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً**﴾ [البقرة:٢٢].

هذا رد على من يقول: (إن أمريكا عندها عاصرات السحاب)، فالله سبحانه هو الذي ينزل الماء من السماء، قال تعالى: ﴿**أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ**﴾ [الواقعة:٦٨-٦٩].

والسحاب له زاجر يزجره فيمطر حيث شاء الله، المسألة تسير بأمر الله عزَّ وجلَّ، وصاحب تلك الحديقة التي كان يخرج ثلثها صدقة، وثلثها نفقة على أولاده، ويعيد فيها ثلثًا، أكرمه الله بسحابة ارتفعت فأمطرت على حديقته خاصة.

ولما استسقوا في زمن النبي ﷺ رفع النبي ﷺ يديه ودعا، فارتفعت سحابة مثل الترس، ثم صعدت، ثم أمطرت بإذن الله.

وقوله: ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ**﴾ [البقرة:٢٢].

الله ينبتها، قال الله تعالى: ﴿**أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**﴾ [الواقعة:٦٣-٦٧].

وقوله: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا**﴾ [البقرة:٢٢].

تنددون غيره من المخلوقين به، هذا أعظم الشرك: أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٢]، أنه لا ندَّ له ولا ضدَّ له، وليس له كفؤ، ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ**﴾ [الإخلاص:١-٤]، وليس له سمي، قال الله: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا**﴾ [مريم:٦٥].

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ.

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن:١٨]، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الحَدِيثِ: «**الدُّعَاءُ مخ العِبَادَةِ**»، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر:٦٠].

وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا**﴾ [الكهف:١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة:٢٣]. وقوله: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ**﴾ [الطلاق: ٣].

الشرح

ثم ذكر أنواع العبادة، وأنها كثيرة.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من صرف منها شيئًا لغير

الله فهو كافر، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، والمساجد تشمل أمرين: أعضاء السجود وأماكن السجود.

وهذا لا يتعارض مع قوله (مسجد بني سلمة، مسجد قباء، مسجد رسول الله)، نعم يقال: (هذا مسجد بني فلان)، لكن المقصود أنه لا يُدعى مع الله أحد؛ فإن الله أمر أن توضع هذه الأعضاء والمساجد لله، ولا يشرك مع الله أحدًا.

قوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ما من أحد يدعو مع الله إلهًا آخر إلا وليس له عليه برهان، ولكن هذه صفة مبينة موضحة لكل من دعا مع الله إلهًا آخر أنه ليس له برهان على ذلك.

وليس لهذه الكلمة ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ مفهوم مخالفة أنه إذا كان له برهان يجوز، لأن ما هناك من يدعو مع الله إلهًا آخر ومعه عليه برهان، قال تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:١٠]، وقال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢].

وأبان الله أن هذا كفر بقوله في الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وهكذا يستدل هذا الإمام أنَّ من صرف شيئًا من تلك العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، من نذرٍ، أو خوفٍ، أو دعاءٍ، أو رجاءٍ، أو رغبةٍ، أو رهبةٍ، أو خشوعٍ، أو استغاثةٍ، كل هذا صرفه لغير الله كفرٌ.

قوله: وَفِي الحَدِيثِ: «**الدُّعَاءُ مخ العِبَادَةِ**».

الحديث ضعيف، من حديث عبادة بن الصامت، وفيه: ابن لهيعة، وإنما

الثابت عن النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما: «**الدعاء هو العبادة**» وهو حديث صحيح أخرجه أصحاب السنن، وأحمد وغيرهم.

قوله: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر: ٦٠].

أي: صاغرين ذليلين، فسمى الله الدعاء عبادة، وقال الله: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النمل:٦٢].

فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله فقد أشرك شركًا أكبر، إلا إذا كان يدعو حيًّا فيما يستطيع عليه مثل: (يا زيد، يا عمرو)، ويدعوه فيما يستطيع عليه فلا بأس، هذا لا يدخل في الدعاء الشركي لغير الله عز وجل.

أما أن يدعو الأموات، أو الجن، أو يدعو من لا يستطيع أن يعطيه المدد؛ فهذا شرك أكبر.

قوله: وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

✧ **الخوف أقسام:**

- فمنه ما يكون واجبًا وهو: الخوف من الله سبحانه وتعالى، وهو عمل قلبي شرطُ صحةٍ في الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا**

تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

فخوف الله سبحانه حافز للإنسان على طاعته عز وجل ومانع له عن المعاصي، قال الله: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان:٧-٩].

وقال تعالى: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٢٨-٢٩].

وفي "الصحيحين" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

وفي "الصحيحين" حديث الثلاثة النفر أصحاب الغار عن عبدالله بن عمر ﵄، وفيه: «**وَقَالَ الآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ، أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ الله، اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحْ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ**».

○ القسم الثاني من أقسام الخوف: خوف يكون معه عبادة لغير الله، أو ترك لبعض الواجبات؛ كأن يخاف من غير الله، كالأوثان، والجن، والشياطين، والموتى، ويتقرب إليهم بشركهم مع الله من أجل أن يسلم من شرهم، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، قال الله تعالى عن نبيه إبراهيم ﵇: ﴿**وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ**﴾ [الأنعام:٨٠-٨١].

فكأنهم توعدوه بآلهتهم أنها تضره، فأجابهم بذلك، وهذا نظير قول هود ﵇: ﴿**إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ * مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ**﴾ [هود:٥٤-٥٥].

○ القسم الثالث: خوف طبيعي، قال الله سبحانه عن موسى ﵇: ﴿**فَفَرَرۡتُ**

مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:٢١].

كأن يخاف الإنسان من السبع، من الثعبان، من العدو، كما دلت هذه الآية، وقال الله سبحانه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٢١].

- القسم الرابع: خوف الجبان، كأن يتوهم أن أمامه شيء يخيفه، وما هناك شيء، هذا جُبنٌ، والجبن مذموم؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ**».

قوله: وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

الرجاء: هو تأمل الخير وقرب وقوعه، ومن أدلته قوله ﷺ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ**».

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤].

وقول النبي ﷺ: «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي**» الحديث صحيح بشواهده.

وهذه الأدلة تدل على أن الإنسان ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء، فلا يغلب جانب الخوف مطلقًا، ولا يغلب جانب الرجاء مطلقًا إلا حسب ما

يقتضيه الحال.

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل، وصرفه لغير الله شرك بحسب ما يحصل بقلب صاحبه من حيث كونه شرك أكبر أو أصغر.

ويجوز أن يرجو الإنسان خير الإنسان؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ**» أخرجه الترمذي، وأحمد، وهو حديث حسن.

وفي "الصحيحين" أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال يوم خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، ويُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»، قَالُوا: فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ.

قال العلامة العثيمين رحمه الله: واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصية ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمنٍ مذموم.

من عبد الله بالخوف فقط يصاب بفكرة الخوارج، ومن عبد الله بالرجاء وحده؛ فإنه لا يؤمن عليه من قول المرجئة، ومن عبد الله بالمحبة فقط؛ فإنه يخشى عليه الزندقة كما حصل للصوفية، ولكن المؤمن يعبد الله سبحانه رغبًا ورهبًا كما هو شأن الأنبياء، قال الله: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأولئك الذين يقولون: (إنهم يعبدون الله لا طمعًا في جنته، ولا خوفًا من عذابه، ولكن حبًّا له فقط)، هؤلاء ضلال ليسوا في ذلك أتباعًا للأنبياء عليهم

الصلاة والسلام، ولا على ما أمر الله به عباده، في قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]، وقوله: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦].

قوله: ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

هذا يدل على أن التوكل شرطٌ في صحة الإيمان، وأمرُ التوكل أمرٌ عظيم لا تقوم الحياة الإيمانية إلا عليه، ألا ترى أنَّ الذي لا يتوكل على الله يفسد معتقده، وتفسد حالته من حيث إنه ما عنده ثقة بالله، ولا عنده قناعة في الرزق، ولا عنده شجاعة وإقدام، ولا عنده اعتماد على الله في شفاء الأمراض، إذا مرض ولده ذهب إلى المشعوذين، فتجد عنده أنواع البلاء.

هذا أساس الدين: التوكل عليه عز وجل، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه، فلا يقال لعبد: (توكلت على الله وعليك)، ولا (على الله ثم عليك)، فالتوكل على الله وحده ومن خصائصه.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦].

وقال جل جلاله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

وينبغي أن يكثف النصح للمسلمين في الخطابات، والدعوات، والكتابات

بالتوكل على الله، فوالله، ما اغتروا بالكفار، وما عظموهم هذا التعظيم - وقد حقر الله الكفر وأهله - إلا من ضعف التوكل، وما وقعوا فيما هم فيه من الشرور والفتن إلا من ضعف التوكل، وما عبدت تلك القبور من دون الله إلا من ضعف التوكل على الله سبحانه، وما علقت الحروز والتمائم إلا من عدم التوكل، فالفساد يدخل على الإنسان في دينه ودنياه من ضعف توكله على الله سبحانه وتعالى.

الأَصْلُ الثَّانِي

مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

المرتبة الأولى: الإسلام.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران، ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ ؟لا اله؟ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ؟إِلا اللهُ؟ مُثْبِتًا العِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾

[آل عمران: ٦٤].

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الشرح

قوله: الأَصْلُ الثَّانِي.

أي: من الأصول الثلاثة.

قوله: وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

لقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١].

وقوله سبحانه: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة:٣].

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:١-٦].

قولهُ: وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ.

لقوله الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

هذا معناه الصحيح الذي دلت عليه الأدلة، وما عدا ذلك من الأقوال في معناها فأقوال باطلة.

قولهُ: وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

الأدلة الكثيرة تدل على ذلك، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].
- وقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].
- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].
- وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ.

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وأركانه ستة: كما في الحديث «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ**﴾ [البقرة:١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩].

الشرح

قوله: الإِيمَانُ.

الإيمان هو: نطق باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهناك تعاريف تخالف هذا التعريف ليس منها ما هو صواب، هذا التعريف هو الشامل وهو الصحيح المؤيد بالأدلة المذكورة.

قوله: وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

الإيمان فيه أعلى وأدنى كما في حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: «**الإيمان بضع**

وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

وإذا كان إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان فالذي يحتقر ذلك يعتبر زاهدًا في الخير، ومحقرًا لشيء عظيم من أسباب دخول الجنة، فلا يقال عنه وأمثاله إنه قشور.

والإيمان له علامات، علامة الإيمان حب الأنصار، وعلامة النفاق بغض الأنصار، وله بشاشة؛ لحديث: «**وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ**»، وله حلاوة، «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» متفق عليه.

والإيمان إذا انفرد شمل الإسلام، والإسلام إذا انفرد شمل الإيمان؛ لحديث: «**وَالله لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، ألا أدلكُمْ عَلَى مَا إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»، صاحب الإسلام عنده إيمان، والمؤمن بالله مسلم منقاد له عز وجل.

قولهُ: وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ**﴾.

وقوله ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه عند مسلم برقم (٨) قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ**».

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ

أركانه: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، كما في الحديث: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ [النحل:١٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ * إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** ﴾ [يونس:٦١].

الشرح

هذه مراتب الدين: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، تفسير لا مزيد على ذلك، لأنه تفسير رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في حديث عمر عند مسلم رقم (٨).

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا المسئول عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**»، قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟**»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم**»، أخرجه مسلم رقم (٨).

الشرح

اشتمل هذا الحديث على فوائد كثيرة، نذكر منها:

١) فيه السؤال عما أشكل، أو لقصد تعليم الناس.

٢) وأنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله.
٣) وفيه أن الإنسان قد يكون يقرأ القرآن وهو جاهل، إذا لم يتربَّ عند علماء السنة.
٤) وفيه أن طلب العلم بغير سنة لا يكون نافعًا لصاحبه، بل يكون ضررًا عليه في دينه.
٥) وفيه وجوب المحافظة على هذه الأركان المذكورة في هذا الحديث؛ لأنها أصول الدين.
٦) وفيه جواز الرحلة إلى طلب العلم مع نية الحج والعمرة.
٧) وفيه العناية بتعليم الدين الذي خلقنا الله من أجله.
٨) وفيه تعليم أدب طلب العلم.
٩) وفيه السؤال لقصد التعليم، وقد كانوا يفرحون إذا قدم أعرابي فسأل عن مسألة.
١٠) وفيه فضل اجتماع نيات خيرية متعددة.
١١) وفيه فضل لباس البياض، وينبغي للعالم والطالب أن يتحلى به أكثر من غيره.
١٢) وفيه دليل لقاعدة: (دلالة الاقتران) من قولهم: لا يُرى عليه أثر السفر.
١٣) وفيه ذكر الدليل على الحكم.
١٤) وفيه إثبات الملائكة، ومنهم جبريل عليه السلام.
١٥) وفيه إثبات بعض صفاتهم.
١٦) وفيه تعريف أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وركن الإحسان.

١٧) وفيه أن مراتب الدين ثلاثة: إسلام، وإيمان، وإحسان.

١٨) وفيه تصديق الصادق، أو من يوافق الصواب.

١٩) وفيه أن المراقبة لله تعالى إحسان.

٢٠) وفيه إثبات رؤية لعبادة، واطلاعه عليهم.

٢١) وفيه إثبات الساعة وأماراتها، وهي علاماتها.

٢٢) وفيه أن القول بغير علم لا يجوز، ومن لا يعلم يقول: الله أعلم.

٢٣) وفيه أن علم الساعة إلى الله، ومن ادعى علمها فهو دجال كذاب.

٢٤) وفيه أن القدر منه ما يظهر أنه خير، ومنه ما يظهر أنه شر في نظر العبد.

٢٥) وفيه أن من علامات الساعة الصغرى: كثرة السراري حتى تلد الأمة ربتها، أي: سيدتها.

٢٦) وفيه شرح الإسلام، وشرح الإيمان للناس، وقد عمد جماعة من العلماء إلى التصنيف على هذا الترتيب المذكور في هذا الحديث.

٢٧) وفيه أن القدر فيه خير وفيه شرٌّ، أما حديث: «**والشر ليس إليك**» فقد أوضحه النووي بأنه يدور على خمسة معاني:

- الأول: لا يتقرب به إليك.
- الثاني: لا يضاف إليك.
- الثالث: لا يصعد إليك.
- الرابع: ليس شرًّا بالنسبة إليك.
- الخامس: أنه ليس على انفراده يضاف إليك، وفي هذا القول الأخير نظر.

٢٨) وفيه أن (رب) تأتي بمعنى (سيد)، وقد تأتي بمعنى (صاحب).
٢٩) وفيه أن من علامة كثرة المال تطاول الفقراء في البنيان، وذلك لكثرة المال.
٣٠) وفيه أن الإخبار المجرد عن قوم لا يكون تنقصًا لهم.
٣١) وفيه السؤال للاختبار، من قوله: «**أتدري من السائل؟**».
٣٢) وفيه أن التعليم قد يكون بالفعل.
٣٣) وفيه أنهم كانوا يقولون: الله ورسوله أعلم، وهذا في حياته.
٣٤) وفيه أن اشتراك الضميرين ليس مكروهًا، وأما حديث: «بئس الخطيب أنت ...»، فلأن الخطبة من شأنها البسط والإيضاح.
٣٥) والجمع بين الحديث المذكور، وحديث ابن عباس في وفد عبد القيس، أن هذا دل على أن أعمال الباطن من الإيمان، وذلك دل على أن أعمال الظاهر من الإيمان.
٣٦) وفيه رعية الغنم، والمشي حافيًا، وأن الانتعال أفضل كما في الحديث: «**المنتعل كالراكب، فاستكثروا من النعال**».
٣٧) وفيه أن التطاول في البنيان للتباهي.
٣٨) وفيه تعجب الناس من الشيء الذي يستدعي العجب.
٣٩) وفيه أن الأصل في السؤال للاستفادة.
٤٠) وفيه أن من الملائكة رسلاً ومعلمين.
٤١) وفيه أن الله أعطاهم قدرة على التكيف.
٤٢) وفيه أن دين الله الحق هو ديننا، فيقال: دين الله، أي: أنه شرع، ويقال: ديننا، أي: أننا ندين الله به، أخذًا من قوله: «يعلمكم دينكم».

٤٣) وفيه بيان فضل العالم وبيان أن جبريل كان المعلم لهم وسائلاً للنبي ﷺ، مع أن الراجح أن صالحي البشر أفضل من الملائكة.

٤٤) وفيه أن كتب الله يجب الإيمان بها جميعًا، وهي: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

٤٥) وفيه أدب لفظي من قولهم: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ، ولم يقولوا: وهو جالس عندنا.

٤٦) وفيه حسن أدب الصحابة رضوان الله عليهم في مجالس العلم من الإنصات، وغيره.

٤٧) وفيه الرفق بالسائل.

٤٨) وفيه تعليم الطالب الأدب مع معلمه، من قوله: «**أُدْنُ يا محمد**».

٤٩) وفيه أن السائل يقدم السؤال بوضوح وبلطف.

٥٠) وفيه أن التجمل مطلوب، وليس بكبر.

٥١) وفيه أن طالب العلم يفضل له لبس الثياب البيض، فإن جبريل جاء في صورة معلم الدين.

٥٢) وفيه أن المعلم يكون في هيئة حسنة.

٥٣) وفيه ترك الإطراء في المدح، من قوله: يا أبا عبد الرحمن.

٥٤) وفيه ابتداء الداخل بالسلام، ففيه رواية للحديث عن أبي هريرة وأبي ذر، وفيه زيادة: أن جبريل قال حين دخل: «السلام عليكم يا محمد»، ثم قال: «**ادن يا محمد**».

٥٥) وفيه الرفقة في السفر.

٥٦) وفيه أن أكثر من يهتم بدعوة البلاد أهلها.

قوله: إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ.

الرجل هو جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة رجل، ففيه أنه يطلق على الملائكة ذكور ورجال خلافًا لمن كره ذلك.

قوله: وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ.

معناه: أنه ما هو من البلد، لو كان من البلد لعرفوه، ولو كان آتيًا من سفر لكان عليه أثره، وإنما هو نازل من السماء.

قوله: وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ.

الصحيح من ذلك أنه أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ، ووضع كفيه على فخذي نفسه، وفي "السنن الصغرى" للبيهقي، وبعض المصادر فيها: وضع كفيه على فخذي جبريل.

قلنا: وضع كفيه على فخذي نفسه، ما هو على فخذي النبي ﷺ، وإنما أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ، شأن من يطلب العلم بسكينة وأدب.

ثم جعل يسأل النبي ﷺ وتلك الرواية التي فيها هذا اللفظ شذَّ بها سليمان التيمي بعدة ألفاظ، هذا منها: أنه وضع كفيه على فخذ النبي ﷺ.

الأَصْلُ الثَّالِثُ:

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِى النبوة. نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَالهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

الشرح

قولهُ: وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

هذه أصح رواية في تحديد عمره ﷺ.

قال النووي رحمه الله تحت حديث رقم (٢٣٤٧): [باب صفة النبي ومبعثه، وسنه] عن أنس أن النبي ﷺ توفي على رأس ستين سنة. ثم ساق بعده أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأبو بكر، وعمر كذلك.

وفي حديث ابن عباس أنه توفي وهو ابن خمس وستون سنة، ذكر هذه الروايات.

ثم قال: والثالثة: ثلاث وستون، وهي أصحها وأشهرها، اتفق العلماء على أن أصحها ثلاث وستون، وتأولوا الباقي عليها، وقد أنكر عروة على ابن عباس قوله خمس وستون، ونسبه إلى الغلط، وأنه لم يدرك أول النبوة، ولا كثرت صحبتُه بخلاف الباقين. واتفقوا أنه ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وبمكة قبل النبوة أربعين سنة، وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة، وقيل: الهجرة، والصحيح: أنها ثلاث عشرة فيكون عمره ثلاثًا وستين. وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء. وحكى القاضي عياض عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب رواية شاذة أنه ﷺ بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة. والصواب: أربعون كما سبق، وولد عام الفيل على الصحيح المشهور، وقيل: بعد الفيل بثلاث سنين، وقيل: بأربع سنين، وادعى القاضي عياض الإجماع على عام الفيل، وليس كما ادعى، واتفقوا أنه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول، وتوفي يوم الاثنين من شهر ربيع الأول. واختلفوا في يوم الولادة: هل هو ثاني الشهر؟ أم ثامنه؟ أم

عاشره؟ أم ثاني عشرة؟، ويوم الوفاة ثاني عشرة ضحى، والله أعلم.اهـ

قولهُ: مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة.

قال ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (١/ ٨٤): فصل في مبعثه ﷺ، وأول ما نزل عليه بعثه الله على رأس أربعين، وهي سن الكمال، قيل: ولها تبعث الرسل. وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير إليه.اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٨/ ٣٢٦): ولا بعد في أن يؤتى النبوة في ذلك السن، فقد قال في قصة يحيى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢]، ولا اختصاص لذلك بيحيي، فقد قال عيسى وهو في المهد: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٠].

وقال في "الفتح" (١/ ٣٥٨): واختلف النقلة في قدر الأشد الذي بلغه يوسف، فالأكثر أنه الحلم، وعن سعيد بن جبير ثمان عشرة. وقيل: سبع عشرة. وقيل: عشرون. وقيل: خمسة وعشرون. وقيل: ما بين ثمان عشرة إلى ثلاثين. وفي غيره قيل: الأكثر أربعون. وقيل: ثلاثون. وقيل: ثلاثة وثلاثون. وقيل: خمسة وثلاثون. وقيل: ثمانية وأربعون. وقيل: ستون. وقال ابن التين: الأظهر أنه أربعون؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص:١٤]، وكان النبي لا ينبأ حتى يبلغ أربعين، وتعقب بأن عيسى عليه السلام نُبِّئَ دون أربعين، ويحيى كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، وسليمان؛ لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء:٧٩] إلى غير ذلك.

قال الحافظ: والحق أن المراد بالأشد بلوغ سن الحلم، ففي حق يوسف عليه السلام ظاهر؛ ولهذا جاء بعده ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ [يوسف:٢٣]، وفي حق موسى عليه السلام لعله بعد ذلك كبلوغ الأربعين؛ ولهذا جاء بعده ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾، ووقع في قوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ في الموضعين، فدل على أن الأربعين ليست حدًّا لذلك.اهـ

وقال الحلبي في "السيرة الحلبية" (١/ ٣٦٣): قال بعضهم: والأربعون هي سن الكمال ونهاية بعث الرسل، أي: لا يرسلون دونها، ومن ثم قال في "الكشاف": ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة، هذا كلام الكشاف، وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة، أي: ومعلوم أنه دعا إلى الله قبل ذلك، فهو قول شاذ، حكاه وهب بن منبه عن النصارى.انتهى، أي: وعليه جرى غير واحد من المفسرين، بل قال في "ينبوع الحياة": لم يبلغني أن أحدًا من المفسرين ذكر في مبلغ سنه؛ إذ رفع أكثر من ثلاث وثلاثين سنة، هذا كلامه. وفي "الهدي": وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه. هذا كلامه، ويوافق ما تقدم عن المفسرين.

وما في "العرائس": ولما تمت له - يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام - ثلاثون سنة، أوحى الله تعالى إليه أن يبرز للناس، ويدعوهم، ويضرب الأمثال لهم، ويداوي المرضى، والزمني، والعميان، والمجانين، ويقمع الشياطين، ويذلهم ويدحرهم، ففعل ما أمر به، وأظهر المعجزات، فأحيا ميتًا يقال له: عازر بعد ثلاثة أيام من موته.

عبارة الجلال المحلي في قطعة التفسير: أحيا عيسى عليه الصلاة والسلام أربعة: عازر صديقًا له، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح. هذا كلامه، وذكر البغوي قصة كل واحد، فراجعه. وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يمشي على الماء، ومكث في الرسالة ثلاث سنوات، ثم رفع، ويوافق ذلك أيضًا قول ابن الجوزي. وأما حديث: «**وما من نبي إلا نبيء بعد الأربعين**» فموضوع؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام نُبِّئ ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، أي: نبئ وهو ابن ثلاثين سنة، ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، بل قيل: نبئ وهو طفل. فاشتراط الأربعين في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بشيء، هذا كلامه. أي: وفيه أن هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث، ويوافقه أيضًا قول القاضي البيضاوي: ونبئ نوح وهو ابن خمسين سنة، وقيل: أربعين. ويوافقه أيضًا قول بعضهم. ومما يدل على أن بلوغ الأربعين ليس شرطًا للنبوة، وقصة سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه عليه بناء على أن الحكم في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾: النبوة، لا الحكمة، وفهم التوراة، كما قيل بذلك، بل أحكم إليه عقله في صباه، واستنبأه، قيل: كان ابن سنتين أو ثلاث.اهـ

قال المُلَّا علي القاري في "الأسرار المرفوعة" (٤٢١): حديث «**ما من نبي نبيء إلا بعد الأربعين**»، قال ابن الجوزي: إنه موضوع. ذكره الزركشي، وسكت عنه السيوطي. قلت: ويعارضه نص قوله تعالى في يحيى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، وقوله سبحانه في يوسف: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا﴾ الآية، ولو ثبت يحمل على الغالب.اهـ

وأخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره"، والضياء المقدسي في "المختارة"

(١٥/ ١٠)، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١٧٧/ ٢): عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيًّا إلا شابًّا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب.

وفي سنده: قابوس بن أبي ضبيان، عن أبيه، قال ابن حبان في "المجروحين": كان رديء الحفظ، يتفرد عن أبيه بما لا أصل له.

قولهُ: نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾.

أي: بخمس آيات من أولها.

قولهُ: وَأُرْسِلَ بـ[الْمُدَّثِّرْ].

أي: بخمس آيات من أولها.

قولهُ: بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ.

النذارة عن الشرك وغيره من المعاصي، والدعوة إلى التوحيد وغيره من الطاعات؛ لقول الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ**﴾ [سبأ:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً** ﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي: خذوا الدين من جميع جوانبه.

قولهُ: أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

النبي ﷺ أول دعوته إلى التوحيد، ومات وهو يدعو إلى التوحيد، وكذلك جميع الأنبياء، قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء:٢٥].

قولهُ: وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

وبعد العشر قبل الهجرة إجماعًا.

الإسراء لغة: هو السير ليلًا، واختلفوا من أي موضع كان، قيل: من بيت أم هانئ. وقيل: من شعب أبي طالب. وقيل غير ذلك، وغالب هذه الألفاظ من أوهام شريك بن أبي نمر كما أبان ذلك غير واحد من أهل العلم، منهم الذهبي وابن حجر.

والإسراء بنص القرآن من المسجد الحرام قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء:١].

أما المعراج من المسجد الأقصى إلى سماء الدنيا إلى حيث شاء الله من العلى وأكرمه بما شاء، وأوحى إليه ما أُوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى.

ففي الأدلة أنه أسري به ﷺ بروحه وجسده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولم يتكرر الإسراء والمعراج به، والذين قالوا بالتكرار والتعداد بنوا على تلك الروايات المنتقدة.

ومما يدل على عدم التكرار أن النبي ﷺ فرضت عليه الصلاة مرة واحدة، وخففت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات؛ فعلم أن النبي ﷺ عرج به مرة واحدة بروحه وجسده، الإسراء والمعراج بروحه وجسده، قال الله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

والعبد يطلق على مجموع الروح والجسد لا على الروح فقط، ولا الجسد فقط، ثم إنه رأى أمورًا أطلعه الله عليها، ثم إنه ركب في إسرائه على البراق والركوب لا يكون بالروح فقط، بل بالروح والجسد.

وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ البُغَوِيُّ رحمه الله: نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: **«لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ.

الشرح

قوله: قَوْلُهُ ﷺ: **«لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ»**.

أخرجه أحمد في "المسند" (٤/ ٩٩)، وأبوداود رقم (٢٤٧٩) في [كتاب

الجهاد] من "سننه" [باب: الهجرة هل انقطعت] عن معاوية.

وهو صحيح بشواهده، منها: عن عبدالله بن السعدي، أخرجه أحمد رقم (١٦٧١)، وآخر عند أحمد (٤/ ٦٢) عن جنادة بن أبي أمية أن النبي ﷺ قال: «**إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد**»، وإسناده صحيح.

قولهُ: وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبهَ.

وطلوع الشمس من مغربها آخر الآيات للساعة، فإذا طلعت من مغربها يؤمن الناس كلهم أجمعون، ولا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

قال الإمام ابن كثير - في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا**﴾ [الأنعام:١٥٨]-: أي إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك؛ فإنْ كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم، وإن لم يكن مصلحًا فأحدث توبة حينئذ؛ لم تقبل منه توبته، كما دلت عليه الأحاديث ...

وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا**﴾، أي: ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم تكن عاملة به قبل ذلك.

قولهُ: وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ.

ذكر المصنف وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، ويضاف إلى ذلك من بلاد الضلالات إلى بلاد السنة وإن كانت بلاد إسلام، لكن فيها فتن، وفيها ضلالات؛ لعموم حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: أمر ذلك الرجل أن ينتقل إلى بلد أهله أخيار: «**اذهب إلى بلد كذا؛ فإن بها أناسًا يعبدون الله**

فاعبد الله معهم» متفق عليه.

والهجرة لا تنقطع، وما جاء في حديث عائشة وغيرها: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية**»، أي: لا هجرة من مكة؛ لأنها صارت دار إسلام، وقد ذهبت الهجرة في زمن النبي ﷺ، الهجرة التي هي تامة وفاضلة عن غيرها، ولكن الهجرة لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

ثبت الحديث عن النبي ﷺ بذلك، وفضل الهجرة عظيم في القرآن والسنة، قال الله: ﴿**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ**﴾ [النساء:١٠٠]، هذا من أسباب سعة الرزق.

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ [النساء:٩٧].

قوله: أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ.

مكث النبي ﷺ عشر سنين بالمدينة، وفي تلك العشر السنين جعل الله سبحانه وتعالى في أوقاته البركة العظيمة، فانتشرت الشريعة، وأكمل الله له بها الدين، قال تعالى: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣].

قوله: وَتُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ.

باقٍ إلى قرب قيام الساعة؛ لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

ولقول النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**﴾ [الزمر:٣٠-٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ [طه:٥٥].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**﴾ [نوح:١٧، ١٨].

وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ [النجم:٣١].

الشرح

قوله: وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ.

النبي ﷺ دعا إلى التوحيد وإلى كل خير، وحذر من الشرك ومن كل شر،

وأن شريعته شاملة عامة للثقلين الجن والإنس؛ لحديث: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

وهذا مما يرد به على البعثية القومية العربية الذين يقولون: إن النبي ﷺ إنما أرسل إلى العرب؛ لقول الله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء:٢١٤]، وما إلى ذلك من الأدلة، وهم لا عند هذا الدليل ولا غيره.

البعثية الأصل فيهم زنادقة؛ إلا إذا كان هناك بعض من قلدهم بجهل لا يفهم، وإلا فمعتقد البعثية مبني على الكفر بالله، على ذلك المبدأ.

لا تسألوا عن ملتي عن مذهبي ... أنا بعثي اشتراكي عربي

ويقول أحدهم:

رضيت بالبعث ربًّا لا شريك له ... وبالعروبة دينًا ما له ثان

ورسول الله مبعوث إلى الناس كافة، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سبأ:٢٨]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:١٠٧].

قوله: وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ.

هذا رد على الغلاة في جناب رسول الله ﷺ الذين يدعونه، وينشدونه، ويطلبونه، ويستغيثون به، وهو ميت، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: (بأبي أنت وأمي، أما الموتة الأولى فقد ذقتها، ولن تذوق بعدها موتة أبدًا)، وكان ﷺ عند موته يقول: «**بل الرفيق الأعلى**».

ودفن رسول الله ﷺ، دفنه أصحابه وقبره معروف في مدينة رسول الله ﷺ؛ بدلالة أن الأنبياء يقبرون في بيوتهم.

وعلى هذا فقول الصوفية في المولد: (مرحبًا جد الحسين، مرحبًا)، يرحبون به أنه أتى يتعارض مع القرآن، ومع السنة الصحيحة «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٥٠]، وهم يجعلون نارًا ثم يضعون فيها البخور، ثم يقوم صف من هنا وصف من هاهنا، ويرحبون برسول الله.

وهذا الفعل منهم مع بدعة المولد أيضًا هو ضلال يتعارض مع تلك الأدلة كلها وغيرها كثير.

والذي في حضرموت يأتي إليهم رسول الله ﷺ في ليلة المولد، وكذا الذي في إندونيسا، والشرق، والغرب، والجنوب، والشمال، ألوف الأماكن يرحبون

به زعموا أنه يحضر عندهم في ليلة واحدة.

فهذه الأدلة تدل على ضلال هؤلاء الذين يقولون: إن النبي ﷺ يحضر عندهم، فهو ميت، وأيضًا حياة البرزخ حياة الله أعلم بها، حياة تختلف عن حياة الدنيا، فالذي يخاطب يقول: (أقرئ سلامي على رسول الله)، يأتي يقول: (يا رسول الله، فلان يقرئك السلام)، هذا من المحدثات، فرسول الله ﷺ يقول: «**فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**».

هذا من المحدثات أن يقرئ السلام، ويرسل السلام إلى رسول الله ﷺ، فيكفي أن يسلم على رسول الله ﷺ حيث كان بدون إرسال مع الحاج أو المعتمر.

قولهؒ: وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ.

مات رسول الله ﷺ وقد أكمل الله به هذه الملة، وهذه الشريعة، تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ من حديث العرباض بن سارية ﵁.

قولهؒ: وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ.

وبعد الموت نؤمن بها بعد الموت، مما ثبت في القرآن والسنة من البعث، والحساب، والصراط، والميزان، والحوض، والموقف، وتطاير الصحف، ومن أخذ كتابه بيمينه ومن أخذ كتابه بشماله وغير ذلك مما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٥].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْها رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

الشرح

قوله: وَمَنْ كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ.

قال الله سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ:٣].

وقال الله سبحانه: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت:١٩- ٢٤].

وذلك الرجل الذي أتاه رجل يتقاضاه فأبى أن يقضيه، فقال: إذا مت فأقضيك يوم القيامة، فأنزل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم:٧٧].

وقال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٦٥-٦٧].

والحساب قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-١٥].

ظن أن لا يحور، أي: لن يرجع، وقال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

الحساب من معتقد أهل السنة، إلا أن من الناس من يدخلهم الجنة بغير حساب، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**».

فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ**» متفق عليه.

ومن نوقش الحساب هلك، المؤمن يعرض عليه ذلك العرض؛ لحديث: عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ**»، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، فَقَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ الحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ العَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ**» أخرجه البخاري رقم (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٩).

وحديث ابْنِ عُمَرَ ﵄ عند سأله رجل: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**يُدْنَى المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ،**

حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ» أخرجه البخاري رقم (٤٦٨٥) ومسلم رقم (٢٧٦٨).

وكل أمور الآخرة يجب الإيمان بها، ومن أنكر أمور الآخرة بما ثبت من القرآن والسنة يكفر، حتى ولو أنكر عذاب القبر كما يفعل بعض الزنادقة الآن من الرافضة ونحوهم، قال الله سبحانه: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

واليوم الآخر يشمل ما بعد الموت كله، من كفر به كفر.

قوله: وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

الحكمة من إرسال الرسل للبشارة، والنذارة، ولإقامة الحجة على العباد، قال الله سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

قوله: وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ.

أول الرسل من بني آدم إلى أهل الأرض هو نوح عليه الصلاة والسلام إلى أهل الأرض، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ

وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب:٧]، استوعبت أولي العزم من الرسل.

وقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣]، نظير الأولى.

ويدعى أن نوحًا عليه الصلاة والسلام أول الرسل إلى أهل الأرض، كما حديث الشفاعة الطويل المتفق عليه، وفيه: «**يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ**» الحديث.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤]، سواء يأجوج ومأجوج أو غير هؤلاء، قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص:٥٩].

والآية التي ذكرها المصنف: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤].

فالحكمة من إرسال الرسل: إقامة الحجة بالبشارة، والنذارة، وهذا يدل أن كل أمة أقيمت عليها الحجة.

قوله: وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

ختمت به الرسالة، وختمت به النبوة، قال ﷺ: «**إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**»، والله سبحانه يقول: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ

﴿ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٠].

ومن ادعى النبوة بعد رسول الله ﷺ؛ فإنه مكذب للقرآن والسنة وذلك كفر أكبر.

قال الطحاوي رحمه الله: وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالنور والهدى، والحق والضياء.

وليس من الجن رسل، بل منهم نذر، قال الله: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩].

وليس من النساء نبيات ولا رسولات، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

فالرسل والأنبياء كلهم من الرجال، لا من الصبيان .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ، وَفِي الحَدِيثِ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى اله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الشرح

وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام» الحديث مأخوذ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو حديث محتج به.

انتهى ما أردنا من التعليق المختصر على هذا الجزء المفيد "الأصول الثلاثة" والحمد لله.

الفهرس